زاوية

من اجل ان لا يكون هناك اشرار جدد في السلطة!

عادل العامل

تشكل المصالحة الوطنية عنصراً مهماً من عناصر نشوء العراق الجديد القائم على الحرية والديمقراطية والكرامة الانسانية والعدالة الاجتماعية والاخوة والتسامح والانتماء الوطني الواحد.

ويتطلع الجميع الى هذه المصالحة، وان كان ذلك من زوايا مختلفة وبدرجات متفاوتة وموسمية من الحماسة والتأكيد، وفقاً للاحداث المستجدة والمتغيرات السياسية والتحالفات الحاصلة بين هذا الطرف وذاك من الاطراف الوطنية العراقية، والتدخلات العربية في الشأن العراقي.

ولا تتمثل اهمية المصالحة الوطنية، في الحقيقة والواقع، في دورها الآني الهادف، برأي بعض الداعين المتحمسين لها، الى استقرار الوضع الامني الداخلي وتعزيز عملية التنمية الوطنية الشاملة، في المقام الاول، بقدر ما تتمثل في اعادة النسيج الاجتماعي العراقي، بكل مكوناته العرقية والدينية والمذهبية والطبقية، الى ما كان عليه من ترابطٍ وتقاليد اخلاقية وتكافل وانتماءٍ لعراقٍ واحد، الى الحد الطيب الذي نعرفه جميعاً.

فأنت لا تستطيع ان تقيم عراقاً متآخياً متحداً قادراً على احتضان جميع ابنائه وتأمين الحياة الحرة الكريمة لهم، اذا لم تعالج جذرياً اسباب الانقسامات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي خلخلت الكيان الاجتماعي العراقي ومكنت زمرة صغيرة من المغامرين والجهلة والمنحطين اخلاقياً من التسلط لعقود عدة على مقدرات شعب عريقٍ متحضر كالشعب العراقي.

ولا ينفع في هذا الاطار تجاهل الماضي والتحايل على الواقع الموروث، بدعوى (عفا الله عما سلف) وغيرها من الطروحات التلفيقية الهادفة الى تجاوز المأزق وليس الى معالجة اسبابه وتصفية آثاره بشكل نهائي يمنع تكراره او امتداد تأثيراته بصور جديدة. فالمسألة لا تتعلق فقط بمحاسبة هذا الفرد او تلك الجهة وتعويض المتضرر والمصالحة معه، وانما هي تتعلق ايضاً، وفي المقام الاول، بالتغاضي الاجتماعي عن بروز الحالات الشاذة التي تخرج على العرف والمألوف من السلوك الفردي والجماعي في الوسط العراقي.

وعليه، فإن المصالحة الوطنية الحقيقية تستلزم ان تكون هناك لجنة عامة ولجان فرعية، وعلى امتداد البلاد، من مختلف القوى الوطنية والاختصاصات ذات العلاقة النوعية، تمسح تاريخ العراق الحديث وتتفحص الاحداث والظواهر المهمة التي حصلت منذ اسقاط الملكية عام ١٩٥٨ حتى اسقاط النظام البعثي الدكتاتوري يوم ٩ نيسان ٢٠٠٣.

فنحن نريد ان نعرف ايضاً، اضافة لمعالجة الجانبين السياسي والقضائي من المشكلة، الاسباب الحقيقية لإنتشار روح الخذلان والاستخذاء والنكوص لدى اوساط واسعة من الشعب العراقي، التي لم تأت بالبعثيين الى السلطة فقط، بل رجحت كفة السيئين منهم على كفة الخيرين منهم، في عملية الاستيلاء على السلطة. وهذا ما ينبغي ان يدركه هؤلاء ايضاً بإعتبارهم ضحايا النظام القمعي السابق وان عليهم، بالتالي، العودة الى صفوف الشعب والاندماج بها في عملية بناء العراق الجديد، بكل حرية واقتناع، وليس بدافع الخوف او الرغبة في الانتفاع، كما كانت الحال سابقاً.

ان معرفة الخلل في مكونات الحالة العراقية، في ضوء ما ستتوصل اليه لجان المصالحة الوطنية المذكورة انفاً من معطيات، امر مهم جداً لا في محاولة فهم احداث الماضي التي ادت الى الكارثة فقط، بل في محاولة ان لا تفرز الحالة العراقية المختلفة اشراراً جدداً على مستوى السلطة، وضحايا اخر بمستوى المقابر الجماعية.

استفاقة العقل السوسيولوجي من التنظير الفلسفي الى الفعل والممارسة

علاء جواد كاظم

لقد كان العقل السوسيولوجي بحق خلاصة فلسفية لقرن ماض بل اخر الفصول في مسيرة تطور العقل الانساني-العملي- من التنظير الى ممارسة الفعل، هذه الخلاصة الفلسفية التي الحقت كتاريخ تطوري طبيعي..

اذن فالقضية الجديدة التي يضطلع بها عقل القرن الحادي والعشرين تتركز في البحث عن حقائق جديدة بعيدا عن عالم الاوهام النظرية البحتة داخل النظام الاجتماعي الجديد.. وتشكل هذه الانعطافة الحقيقية التي استفاق عندها العقل والتحليل السوسيولوجي كنموذج ينسجم ويتناغم مع حركة القرن الحادي والعشرين والثورة المعلوماتية كانت خير دليل على ذلك.

وكان ان انتج هذا العقل نفسه ذاتياً واقام عرشه على انقاض الفلسفة المثالية المهترئة كماظهرت في نموذجها الخاص فلسفة (عمانويل كانت) ومقولة الشيء في ذاته وعند فلسفة (باركلي) او النماذج الفلسفية بعض الشيء التي استندت اليها نماذج المعسكر الاشتراكي سابقا وهي بالحقيقة نماذج فلسفية معدلة تعديلاً وراثياً على ايدي (لينين وستالين وايل سونغ وماوتسي تونغ) والعجوز كاسترو.. او الفلسفة الوجودية والمعبر عنها رسميا بنماذج فلسفة (كيركجورد) وفلسفة (سارتر وبنزوانكر) النفسية والفلسفات الحداثية المعاصرة التي افلست في خضم صراعها مع عالم اجتماعي واقعي- متحول ويؤكد (بوبوف) في نقده لعلم الاجتماع بتصريحه حول موت الفلسفة البرجوازية تعليقا على السيد بيل الذي يقول- لقد شهدنا في السنوات العشر الاخيرة، تهافت ايديولوجيات القرن التاسع عشر وخاصة الماركسية كأنظمة عقلية، والتي كان باستطاعتها ان تدعي حقيقة تفسيراتها للعالم)(١)

ماهية العقل السوسيولوجي:

قبيل الاجابة عن هذا السؤال نجد ان من الضروري ان نعرض الاتهام او النقد الموجه من قبل ميرلوبونتي في كتابه عن (تقريظ الفلسفة) للمدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع والتي تتضمن تعريفاً موجزاً لكنه نهائي في تحديده للعقل السوسيولوجي وطبيعة القلق الملازم له ولموضوعاته وماهيته قائلاً:- كان يعوز المدرسة الفرنسية (في علم الاجتماع) هذا الولوج الى الاخر والذي هو تعريف للسوسيولوجيا: كيف نفهم الاخر من غير ان نضحي به لمنطقتنا او نضحي بمنطقنا له!؟؟

سواء مثلت سريعاً الواقع بأفكارنا، ام بالعكس اعلنته كثيماً، فان السوسيولوجيا كانت تتحدث دائماً كما لو ان باستطاعتها التحليق فوق موضوعها، كأن عالم الاجتماع مشاهد محض، كان يعوز الاختراق الصبور للشيء، الاتصال معه)(٢).

بينما تتعلق الاجابة عن هذا التساؤل بالنسبة لنا وتكمن في تحديده وتعريفه على انه منظومة معقدة من المفاهيم والاطر التحليلية - البحثية التي تستند الى التجريب والتكميم والملاحظة ما يجعل منها في التحليل الاخير معرفة واقعية موضوعية، تختبر نفسها على الدوام وصدقها مع الثابت والمتحول في الجسد الاجتماعي.

ويقرأ- س.رايت. مليز العقل السوسيولوجي محدداً بأعتباره نوع من العقل الذي يعين الناس على استخدام المعلومات، وعلى تطوير عقولهم لانجاز محصلات واضحة لما يجري في العالم ولما يمكن ان يحدث داخل انفسهم) (٣)

مشيرا الى ان هذا العقل سيمكن مالكه من فهم المشهد التأريخي الاكبر من حيث معناه للحياة الداخلية لمجموعة متنوعة من الافراد ولحياتهم العملية الخارجية، كما انه يمكنه من ان يأخذ في الحسبان كيف ان الافراد في مضطرب تجاربهم اليومية يصبحون واعين لمواقعهم الاجتماعية وعياً زائفاً..

ان هذا العقل الذي يجعل الفرد مدركا لحقيقة انه لايفهم تجربته الذاتية ولا ان يقدر مصيره الا بتحديد موقعه ضمن فترته، وانه لايستطيع ان يعرف فرصة نفسه الا اذا اصبح عالما بفرص الجميع من الناس الذين يعيشون معه وفي ظروفه..

ويرى ميلز ان العقل الذي يعتمد التحليل او الرؤية السوسيولوجية يجعلنا ذوي قدرة اكبر على ادراك التأريخ والسيرة والشخصية والعلاقة بينهما ضمن المجتمع، بل يؤكد باستمرار ضرورة ان تكون هذه السمات مكتملة لدى كل محلل اجتماعي وباحث اجتماعي ويرى انها كانت موجودة لدى كل من (المحللين الاجتماعيين الكلاسيكيين من هربرت سبنسر، أي.أي.روس، كومت، كارل مانهايم، كارل ماركس، ثورشتاين فيبلن، جوزيف شوهينز)(٤)

ان العقل السوسيولوجي —وهو السائد في اوربا الان- يجب ان يمتلك القدرة على الامتداد من اكثر التحولات موضوعية او تجريدا اوبعدها، الى اكثر سمات البشرية شخصية وخصوصية وعلى رؤية العلاقة بين الاثنين.

ويقف وراء استخدام هذا العقل او (الخيال) باستخدام س.ميلز (دائما الدافع المعنى الاجتماعي والتاريخي للفرد وفي الفترة التي يملك فيها صفته وكينونته..) يبدو ان هذه العقلية تعدنا، وعداً في غاية الاثارة، بأن نفهم الحقائق المتعلقة باعمق احساساتنا الشخصية، مرتبطة بالحقائق الاجتماعية، الكبرى..)(٥)

هذه المنظومة من المفاهيم المجربة - والتجريبية والواقعية تحاول رصد الموقف من الاخر ازاء الذات والموقف من الذات ازاء العالم الاخر. ثم الموقف من البناء العقائدي للانسان، واشكالية تاكل الموروث المقدس، موت المعتقد في الزمان والمكان، ظاهرة انقلاب القيم الاجتماعية، واغتراب الموقف الانساني من العالم- ظاهرة الصراع- والتحول الاجتماعي في البنى والانساق، الوجود الانساني الطبيعي في هذا العالم ومايتعلق به من قلق وخوف ودهشة ومشاعر محبطة.. كل هذه القضايا لايمكن دراستها او فهمها خارج اطر العقل والبستمولوجيا الاجتماعية واطر المعرفة السوسيولوجية الاخرى حتى ان البت بتلك القضايا ومايتعلق بها يستدعي في الغالب عقلاً سوسيولوجيا اضافة الى رؤية وادراك الخاص.

هذه القضايا تؤكد ان علم الاجتماع كان قد تجاوز حدود الفلسفة وخاصة عندما تطرق الى ميدان المعرفة والمقولات وتعدى دراسة المسائل الابستمولوجية المعقدة الشائكة بلغة ومفاهيم سوسيولوجية.. صفعة جديدة توجه الى التحليل الفلسفي) الكلاسيكي فلقد اقتحم علم الاجتماع المعاصر ميداناً رحباً لايتصل بعلم الاجتماع ذاته، وانما يتعلق بما اجتازه من ميادين جديدة تعرف اليوم بما يسمى) ماوراء علم الاجتماع واستنادا الى هذا الفهم، تعالج الدكتور نوري جعفر في مجموعة رائعة من مؤلفاته في دراسته للعقل والفلسفة واللغة والفكر واكتشافه للاصول الفسلجية البحتة لهذه العمليات والمفاهيم الكبيرة اضافة الى الدراسات القيمة التي تقدم بها الباحث جاسم كريم حبيب في بحوثه حول تفسير السلوك البشري وتحليله لظاهرة القلق متبعا منهج الدكتور نوري جعفر.. والجدير بالذكر ان هذين الباحثين تعرضا في العراق من الدولة ومن مؤسسات البحث العلمي خاصة الى تغييب وتهميش مثير للاستغراب والتساؤل..(٨)

اضافة الى ما جاء به اوكست كومت في قانونه (للحالات الثلاث) عندما ذهب الى ان منطق الانسان بمعنى فكره وعقله انما يتدرج او يتطور مع تدرج المجتمع وتطوره في حالة غيبية اولية الى حالة انتقالية ومن ثم يصل العقل في النهاية الى مرحلة الروح الوضعي (الوجود العملي).

دراسات اميل لفكرة الارادة والتابو والتحريم والتوتم في دراسته حول (الاشكال الاولية في الحياة الدينية) كما يتجلى ايضا في طروحات ليفي برول الى مقولات مثل المعياري والنسبي في الاخلاق ومقولة الضمير وغايات السلوك الانساني حتى توصلت الدراسات السوسيولوجية الى أمر مفاده ان المجتمع هو الاساس الذي يستند اليه المنطق، حيث يرى اميل دوركهايم ان الصور المنطقية في الاساس تشير الى صور اجتماعية وتصدر معايير الفكر عن العقل الجمعي (٧) حتى تطورت هذه الدراسات بعد ذلك خاصة في مجال الفكر من حيث طبيعته وتطوره وقوانينه وبديهياته واصوله الموضوعية التي تمثلت بشكل واضح ودقيق في الدراسات العظيمة التي قدمها ايفان بافلوف وبعده تلامذته الذين نذكر منهم على سبيل التذكير لا الحصر العالم الروسي الكبير بيكوف في روسيا.. وفي العراق ظهر الدكتور نوري جعفر في مجموعة رائعة من مؤلفاته في دراسته للعقل والفلسفة واللغة والفكر واكتشافه للاصول الفسلجية البحتة لهذه العمليات والمفاهيم الكبيرة اضافة الى الدراسات القيمة التي تقدم بها الباحث جاسم كريم حبيب في بحوثه حول تفسير السلوك البشري وتحليله لظاهرة القلق متبعا منهج الدكتور نوري جعفر.. والجدير بالذكر ان هذين الباحثين تعرضا في العراق من الدولة ومن مؤسسات البحث العلمي خاصة الى تغييب وتهميش مثير للاستغراب والتساؤل..(٨)

اضافة الى ما جاء به اوكست كومت في قانونه (للحالات الثلاث) عندما ذهب الى ان منطق الانسان بمعنى فكره وعقله انما يتدرج او يتطور مع تدرج المجتمع وتطوره في حالة غيبية اولية الى حالة انتقالية ومن ثم يصل العقل في النهاية الى مرحلة الروح الوضعي (الوجود العملي).

اذا ليس ما قاله اوكست كومت حول المراحل الثلاث سوى وصف تاريخي لتطور العقل الانساني من مخاض الوهم الى واقع الحقيقة.. (كما ان تلك المسائل التي طالما عالجها الميتافيزيقيون وعلماء النفس او الفلاسفة منذ عهد بعيد سوف تتحرر من اغلالها، من سجنها الفلسفي يوم تطرح في شكل سوسيولوجي.. فهنا على الاقل سبل جديدة تستحق ان تسلك..) (٩)

الهوامش:

في تلك الكلمات القليلة اعلن دوركهايم قيام وجهة نظر سوسيولوجية جديدة لتحرير مشكلات المنطق من حبائل البحث الفلسفي والميتافيزيقي.. في نفس الوقت الذي كانت دعوة شاملة جادة لتحرير التحليل والعقل السوسيولوجي واطلاقهما بعيدا عن الوهم قريباً من تحولات الواقع والاحداث...

١.س.بوبوف-نقد علم الاجتماع البرجوازي المعاصر، ت،نزار عيون السود-دار دمشق-١٩٧٣،ص١٧٠.
٢.موريس ميرلوبونتي-تقريظ الفلسفة، مصدر سابق ص١٠٩.
٣.س.رايت.مليز-الخيال السوسيولوجي-ت:صالح جواد كاظم، الطبعة١-١٩٨٧ بغداد-دار الشؤون الثقافية العامة، ص١٣.
٤. الخيال السوسيولوجي- مصدر سابق، ص١٧-٢٧.
٥.الخيال السوسيولوجي-مصدر سابق، ص١٧.
٦.قباري محمد اسماعيل-علم الاجتماع والفلسفة-الجزء الاول-المنطق ط٢/ ١٩٦٨ دار الطلبة-بيروت، ص٢٥.
٧.علم الاجتماع والفلسفة- مصدر سابق، ص٣١.
٨.انظر الدراسات التالية:طبيعة الانسان في ضوء بافلوف جزء١/ وجزء٢/ اضافة الى مؤلف للغة والفكر للدكتور نوري جعفر (رحمه الله) وغيرها اضافة الى البحث الموسوم بـ(رسالة في تفسير السلوك البشري) للباحث جاسم كريم حبيب.
٩. اجتماع والفلسفة-مصدر سابق، ص١٧٤.

(العراق ومعاصرة المستقبل):

تصورات طموحة لعراق المستقبل

دمشق - ابراهيم حاج عبدي

من الملاحظ إن معظم الكتب التي صدرت قبل الحرب الأمريكية في العراق وبعدها، تناول أبعاد الأزمة العراقية، وأسبابها، وتداعياتها، والظروف التي مر بها العراق، والخلفيات السياسية التي أوصلته إلى هذه المرحلة ... إلى غير ذلك من جوانب وزوايا المشهد السياسي العراقي في محاولة لتفسير ما جرى دون ان تسعى هذه الكتب إلى قراءة مستقبل هذا البلد، أو كيفية بناء عراق بديل عن عراق القمع، والقتل، والغزو، والاضطهاد، والمقابر الجماعية، والأسلحة الكيمياوية، ومرد هذا التقصير يعود إلى أن الحرب - بمعايير البحث التاريخي - لم يمر على انتهائها فترة طويلة، وبالتالي لا يمكن بلورة رؤية واضحة بشأن الآفاق المستقبلية، فالخوض في مناقشة مستقبل بلد مضطرب يعيش تداعيات الحرب، ويثقل كاهله ارث من الاستبداد والتسلط، ويعاني الانفلات الأمني، والاضطرابات، والصراعات أمر بالغ الصعوبة في ظل ما يمكن تسميته بـ (خلط الأوراق) و(تعدد الأجندات والملفات)، وتباين المصالح وسط لعبة التوازنات الدولية والإقليمية، وهو أمر يضعف، من ثم، قدرة الباحث على التحليل الدقيق، ومن القدرة على استشراف مستقبل العراق وتكوين رؤية متماسكة وصحيحة في ظل عدم تبين المعطيات، والحيثيات التي يمكن الإنطلاق منها، والتأسيس عليها.

ضمن هذا السياق يمكن النظر إلى كتاب الأكاديمي والباحث العراقي ميثم الجنابي (العراق ومعاصرة المستقبل) على انه استثناء، إذ ان الكتاب جاء بعد انتهاء الحرب، وهو لا ينظر إلى الحدث التاريخي إلا لينطلق منه إلى المستقبل، ولا يعود إلى الماضي البعيد والقريب إلا ليخدم فكرته الأساسية المتمثلة في كيفية بناء عراق تعددي، ديمقراطي، برلماني، موحد يعيش فيه مختلف تكويناته الطائفية والمذهبية والعرقية في وئام وتسامح، ويحصل فيه الجميع على حقوقه دون تمييز، ودون أي

اعتبار سوى اعتبار المواطنة التي تضمن للجميع الحقوق المنصوص عليها في الدساتير والمواثيق الدولية التي انتهكت في عهد النظام البائد، كما تفرض عليهم الواجبات نفسها في بناء عراق حر وديمقراطي يكفل لمواطنيه العيش الكريم.

انه تصور نظري يقترب من حدود (المثال) أو (اليوتوبيا) خصوصا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار التركة الثقيلة التي خلفها النظام السابق وما أفرزته من ضغائن وأحقاد، لكن إجماع مختلف القوى والتيارات السياسية، والمرجعيات الإسلامية، والشخصيات الوطنية العراقية على صوابيته، وضرورة تحقيقه يقلل إلى حد بعيد من (مثاليته) ويجعله معقولا وقابلا للتطبيق، وهو ما يؤكده الجنابي، البروفيسور في العلوم الفلسفية والإسلاميات، الذي يقترح مجموعة من التصورات ووجهات النظر والآراء التي من شأنها إخراج العراق من المستنقع الآسن الذي وقع فيه نتيجة السياسات الهوج والحمقى التي مارسها النظام السابق طيلة العقود الأربعة الماضية، والانتقال به إلى مرحلة جديدة تناقض تماما المرحلة الماضية بكل بشاعتها وقتامتها، ويوضح الباحث (إن أربعة عقود من الاستفراد الكلي لحزب سياسي واحد في السلطة، واستبداد شامل يفتقد لأدنى معايير الرؤية السياسية العقلانية والإنسانية أدى إلى صنع همجية هي نموذج لما لا يستحق الوجود)، فمنذ عام ١٩٦٣ عندما جاء حزب (البعث) إلى الحكم أصبح تحطيم مؤسسات الدولة والمجتمع أسلوبا لترسيخ الرذيلة، حيث مر العراق بأربعة عقود مظلمة،وتحولت خلالها (قرية العوجة (القرية التي ولد ونشأ فيها الرئيس العراقي السابق صدام حسين) إلى مقياس ومعيار (التعديل) الشامل للعراق، وهي منطقة جعلت من اسمها أسلوبا لتعديل العراق، ولم يعن ذلك في الواقع سوى تعويج العراق بصورة شاملة).

وبغية الخروج من هذا النفق المظلم، لأجل معانقة المستقبل يدعو الجنابي، الأستاذ المحاضر في الجامعة الروسية بموسكو، إلى توحيد الرؤية التاريخية، والسياسية، والثقافية، والأخلاقية، والجمالية عند الأفراد والجماعات، ومختلف التيارات السياسية والفكرية من اجل تذليل فقدان الهوية العراقية التي أصابها العطب والضياع، وإعادة تأسيسها من خلال ما يسميه الباحث بـ (فلسفة الاستعراق)، وهي دعوة، موجهة خصوصا إلى الأحزاب القومية، تنطوي على السعي لرفع جميع الأعراق والقوميات على أرض العراق إلى مصاف القومية الثقافية إذ ليس المضمون القومي والثقافي والسياسي للاستعراق سوى العمل من اجل ارتقاء جميع الأقوام القاطنة في العراق من العرقية إلى العراقية.

ولكن الباحث هنا يعثر على مشكلة الا وهي القضية الكردية، نظرا إلى أن الأكراد في العراق يشكلون القومية الثانية في البلاد، فيطرح الباحث هنا مشروعا ملتبسا، غير واضح المعالم كحل لهذه المشكلة، عبر ما يسميه بـ (المثلث البتاء)(العراقي، الإيراني، التركي) ، بمعنى تحويل القضية الكردية، بالاتفاق بين الأطراف المعنية، من مصدر للقلاقل إلى ساحة للأمان، ومن قضية اختلاف إلى أسلوب للتعاون، وهو مشروع ينطلق من ضرورة تحويل الدولة الكردية المفترضة من كيان تقليدي، إلى كينونة ثقافية - سياسية، مدركا لحساسية هذه القضية بالنسبة للدول التي يعيش فيها الكرد، ومن هنا فهو يختزل بصورة مبسطة تعقيدات القضية الكردية وتشابكاتها، ويهمل نضالات الكرد ونشاطهم، ومواقفهم، وإن كان لا يضمر أي موقف عدائي تجاههم بل هو يريد مصلحة هذا الشعب للعيش بامان في المحيط الذي يوجد فيه، وهو ما أملى عليه تصوره حيال القضية الكردية.

ويتابع الباحث تصوراته لاجتراح الحلول التي تتسم بطابع نظري - فلسفي يصعب معه أيجاد آليات فعالة لتطبيقها عمليا ما لم تبذل جهود مضاعفة في سبيلها، فيطالب بإلغاء الذهنية الراديكالية المتطرفة في العراق من خلال تأسيس فلسفة العقلانية، والاعتدال التي تعتبر حلا مناسبا للكثير من الإشكاليات العالقة، فالراديكالية بوصفها (النزوع الهائج للتغيير الجذري، عادة ما يؤدي إلى تدمير تجارب الماضي وخزين الذاكرة التاريخية ومرتكزات التقاليد الكبرى والقيم والمؤسسات)، وبالتالي لابد من رفضها ونشدان الاعتدال، ويرى الجنابي، الذي أصدر من قبل كتبا عدة منها (التآلف اللاهوتي الفلسفي الصوفي - أربع مجلدات)، و(حكمة الروح الصوفي - جزءان)، و (الإسلام في أوراسيا)، و (روسيا، نهاية الثورة)، و (اليهودية والصهيونية في روسيا)، يرى إن الاستبداد هو منافاة للحكمة التاريخية، وهو يظهر ليزول، بينما الحكمة تظهر لتتكامل، وان تكاملها في العراق حاليا يعني تعلم كيفية تأسيس العقلانية السياسية في العلم والعمل.

وفيما يتعلق بالأحزاب السياسية يدعو الجنابي إلى هجر الغلو السياسي، والتحزب الضيق، والانفتاح بدلا من ذلك على رؤية سياسية واقعية ومعتدلة لان تغلب وتغليب الحزبية على الحزب السياسي يؤدي بالضرورة إلى ضمور المكونات والحوافز الاجتماعية في تصوراته وأفعاله ومشاريعه، وكذلك يطالب بتذليل مختلف أصنام المرجعيات من خلال تأسيس المرجعية الثقافية، في إشارة إلى الحركات الإسلامية، إذ لا يغفل الجنابي عن مطالبة هذه الحركات في العراق بمختلف تباياناتها، وتوجهاتها، وبرامجها بالاندماج في حركة اجتماعية سياسية ثقافية تمكنها من ان تكون نموذجا لما يدعوه بـ (الإسلام الثقافي) وهو إسلام قادر، في رأي الباحث، على حل إشكالية الديني والدنيوي في العراق المعاصر بما يضمن للعراق إمكانية التقدم والازدهار والإبداع.

وهو يشرح طبيعة الحركات اليسارية في العراق، وكيف أنها كانت في الماضي تحلق في سماء الفرضيات، والرومانسية وكانت مرجعياتها الأساسية هي برامج الأحزاب الشيوعيون في العالم الأشتراكي الذي انهار، وهذه التبعية الكاملة والعمياء هي التي دفعت ببعض المعارضين لها إلى القول في صورة ساخرة: (يهطل المطر في موسكو، والشيوعيون٩ هنا يضعون المظلات)، وهي صورة هزلية مبتسرة لكنها تختزل الكثير من أخطاء الحركات اليسارية في العالم العربي، ومنها العراق بالطبع، ولذلك فالباحث، الذي لا ينكر دور هذه الحركة في المسرح السياسي العراقي المعاصر، يدعوها إلى طرح الأسئلة النابعة من واقع البلد، ومراجعة الذات والتاريخ، ويطالب بان يكون اليسار لونا من ألوان قوس قزح العراقي أي اندماجه العضوي، ودوامه الثابت، وتجانسه الطبيعي فيه، وضرورة ان تغير الحركات اليسارية ذهنية الشعارات، والهتافات الرومانسية، والعمل على صياغة شعارات سياسية اجتماعية ثقافية عقلانية تعمل بصورة غير مباشرة على بناء الحرية والنظام في الفرد والمجتمع والمنظمات المهنية، وهي مهمة تفترض أولا وقبل كل شيء تحقيق وعي الذات عبر صياغة الحل النظري، والتأسيس العملي لمعنى وقيمة الوجود التاريخي لحركة اليسار نفسها.

إن هذه التصورات وغيرها تشكل الأرضية الرئيسة لبناء عراق المستقبل، وهي الأسلوب الضروري والواقعي لمعاصرة المستقبل في العراق، بمعنى العمل من اجل وضع أسس للدولة والمجتمع والثقافة تستمد صورها ونموذجها من المستقبل، أي من واقعية الاجتهاد النظري والسياسي المقيد بحقيقة المعاصرة، أي بعبارة أخرى: تعميق وترسيخ وعي الذات الاجتماعي، والسياسي بما يخدم بناء منظومة قادرة على تحصين المجتمع من إمكانية السقوط في أوحال الديكتاتورية والاستبداد مرة أخرى.

الكتاب برمته هو اجتهاد واقعي، وبرنامج عمل طموح لكن تطبيقه يحتاج إلى جهود جميع القوى الاجتماعية والتيارات السياسية، والفكرية، والحركات الإسلامية، والشخصيات الوطنية التي من الضروري أن تتكاتف معا، رغم اختلاف الأفكار والآراء، طالما إن الوطن في المحصلة النهائية يحتضن الجميع، وهو أشبه بقارب إن غرق سيغرق الجميع، وإن نجا سينجو الجميع، ولعل من شأن هذه البديهية أن تشكل حافزا للجميع، حتى في ظل الاختلافات الفكرية والعقائدية والأيديولوجية، للعمل من أجل مصلحة الوطن وإنقاذه ،والباحث هنا يستشهد بمقولة صوفية لها دلالة في هذا المقام، تقول: (إذا استطعت بذل الروح فتعال، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية)، ليخاطب كل من يريد التصدي لإشكاليات العراق الكبرى، بصورة مماثلة مع بعض التحوير: (إذا استطعت بذل الروح من اجل العراق فتعال، وإلا فلا تشتغل بترهات الوطنية).

- الكتاب: العراق ومعاصرة المستقبل.
- الكاتب: ميثم الجنابي.
- الناشر: دار المدى، دمشق - ٢٠٠٤